التفسير الموضوعى
وطرق البحث فيه

إعـــداد

د/ وليد مساعد الطبطبائى

كلية الشريعة - جامعة الكويت

قسم التفسير والحديث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين...﴾ (الإسراء) **والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين القائل: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه...»** .

❐ وبعد فهذا البحث المتواضع ماهو إلا قطرة من الجهود العظيمة التى خدمت كتاب الله عز وجل الذى فاق الاهتمام به أى كتاب سواه حفظاً ودراسة وتأليفاً، فصناعة التفسير من أشرف الصناعات .

❐ وفى هذا البحث نتناول فيه مايعرف بـ«التفسير الموضوعى» ونسلط الضوء على العلم الجديد فى اسمه القديم فى مسماه، فهو موجود مع بداية التفسير فى العهد النبوى، كما سنرى، لكنه لم يأخذ شكله الفنى إلا في العصر الأخير، وبذلك يكون التفسير الموضوعى لوناً من ألوان التفسير، فيه خدمة لكتاب الله وتيسير لدراسته وتسهيل لها، وذلك لأن القرآن الكريم، هو كتاب ليس كبقية الكتب التى تأتى مبوبة إلى أبواب ومصنفة إلى أقسام، لقد كان القرآن مثل الغيث الذى يهطل فى أوقات ومناسبات، وأوضاع معينة اقتضت أن يكون إعجازه بهذه الصورة العظيمة التى رتب فيها المصحف الشريف بتوقيف من المولى عز وجل، وبرغم التفاوت الواقع فى أوقات نزول الآيات، وبرغم ترتيبها فى المصحف الذى لم يلتزم فيه ترتيب النزول إلا أنه لم يفتها شئ من التناسق والتناسب والتشابه والإحكام حتى لكأنها مانزلت إلا وجبة واحدة .

❐ ونحن حين نقرأ الآية من كتاب الله، نجد أنها تذكرنا بآية أخرى فى موضع آخر، وتذكرنا الثانية بأخرى، وهكذا تتداعى الآيات مشكلة فى موضع واحد موضوعاً واحداً، وقضية واحدة تجمع بين ثناياها الآيات التى كانت متفرقة فى سور القرآن الكريم، فيتيسر عن ذلك علي المفسر فى تفسيرها موضوعياً،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهو مايسمى اليوم «التفسير الموضوعى» هذا وقد سبقنى في تناول «التفسير الموضوعى» كعلم أساتذة أفاضل استفدت كثيراً من كتاباتهم وتوجيهاتهم، وعلى الأخص الأستاذ الفاضل الراحل: د. عبد الغنى الراجحى رحمه الله الذى شوقنا كثيراً إلى دراسة هذا الفن العظيم من علوم كتاب الله العزيز .

□ ***وفى الختام أدعو الله أن يتقبل هذا العمل وأن يغفر لنا ولوالدينا ولأساتذتنا ولجميع المسلمين، وأن يرحم الأموات منهم، وأن يحسن ختام الأحياء، إنه نعم المولى ونعم النصير .***

د. وليد بن مساعد الطبطبائى

الكويت فى ١٩٩٨/٩/١م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول
التعريف بـ التفسير الموضوعى

يمكننا أن نعرف التفسير الموضوعى من خلال معرفة المدلول اللغوى والاصطلاحى لهذا التركيب فى حالة الإفراد والإضافة :

١ - «التفسير» لغة واصطلاحاً :

أولاً: لغة :

□ قال الراغب الأصفهانى: «الفسر إظهار المعنى ومنه قيل لما ينبئ عنه البول تفسره وسمى بها قارورة الماء، والتفسير من المبالغة كالفسر، والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها، قال ﴿وأحسن تفسراً﴾[١]...»[٢].

□ وقال آخرون «هو مقلوب من «سفر» ومعناه أيضاً الكشف يقال: سفرت المرأة سفوراً إذا ألقت خمارها عن وجهها وهى سافرة وأسفر الصبح: أضاء وإنما بنوه على التفعيل لأنه للتكثير»[٣].

وقال الراغب: (الفسر) و(السفر) يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، ولكن جعل (الفسر) لإظهار المعنى المعقول... وجعل (السفر) لإبراز الأعيان للأبصار فقيل سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح»[٤].

□ وقال صاحب لسان العرب: «الفسر»: البيان. فسر الشئ يفسره بالكسر، ويفسره بالضم، فسراً وفسره: أبانه، والتفسير مثله، قال ابن الأعرابى: التفسير والتأويل والمعنى واحد، وقوله عز وجل ﴿أحسن

---

(١) الفرقان: ٣٣ .

(٢) المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ص٣٨٠ .

(٣) البرهان فى علوم القرآن: بدر الدين الزركشى ج٢ . ص١٤٧ .

(٤) المصدر السابق ج١، ص١٤٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تفسيراً»[١] الفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل رد أحد المحتملين إلى مايطابق الظاهر .

❐ واستفسرته كذا أى سألته أن يفسره لى، والفسر: نظر الطبيب إلي الماء وكذلك التفسرة، قال الجوهرى: وأظنه مولداً وقيل: التفسرة البول الذى يستدل به على المرض وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل وهو اسم كالتنهية وكل شئ يعرف به تفسير الشئ ومعناه، فهو تفسرته»[٢].

ثانياً: اصطلاحاً:

تنوعت عبارات العلماء فى تعريف التفسير اصطلاحاً، لكنها تدور حول معان مثقاربة، فقد عرفه أبو حيان بأنه: «علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك. قال: فقولنا (علم) جنس، وقولنا: (يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن) هو علم القراءة وقولنا: (ومدلولاتها) أى مدلولات تلك الألفاظ. وهذا متن علم اللغة الذى يحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: (وأحكامها الإفرادية والتركيبية)، وهذا يشمل علم التصريف والبيان، والبديع، وقولنا: (ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب) يشمل ما دلالته بالحقيقية ومادلالته بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضى بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل عليه صاد، فيحمل على غيره وهو المجاوز وقولنا: (وتتمات لذلك)، هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ماأبهم فى القرآن ونحو ذلك»[٣].

---

(١) الفرقان: ٣٣ .

(٢) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، ج٥، ص٥٥ .

(٣) الإتقان فى علوم القرآن: جلال الدين السيوطى ج٤، ١٦٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

□ وأما الشيخ بدر الدين الزركشى فيعرف التفسير بأنه: «علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ»[١].

ب - الموضوع :

أولاً: لغة :

من الوضع، وهو أعم من الحط، ومنه الموضع، قال تعالى: ﴿**يحرفون الكلم عن مواضعه**﴾[٢] ويقال ذلك فى الحمل والحمل[٣]، وإذا تعدى بـ(على) كان بمعنى التحميل، وإذا تعدى بـ(عن) كان بمعنى الإزالة[٤]، قال أبو عبيد: الإيضاع سير مثل الخبب (العدو)[٥]، وهو من سير الإبل، يقال له: الإيضاع[٦].

ثانياً: اصطلاحاً:

تعددت اصطلاحات (الموضوع) بحسب الفن المستعمل فيه :

□ الموضوع عند الحكماء: الوضع عندهم هيئة عارضة للشئ بسبب نسبتين: نسبة أجزائه بعضها إلى بعض، ونسبة أجزائه إلى الأمور الخارجة عنه كالقيام والقعود[٧].

---

(١) المصدر السابق: ج٤، ص١٦٩ .

(٢) النساء: ٤٦ .

(٣) المفردات: الراغب الأصفهانى، ص٨٧٤ .

(٤) الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوى، ص٩٣٤ .

(٥) المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية ص١٨٣.

(٦) غريب الحديث: أبو عبيد القاسم بن سلام، ١٧٨/٣ .

(٧) الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوى، ص٩٣٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ الموضوع عند اللغويين: هو اللفظ الدال على المعنى، ويعرف بالنقل تواتراً كالسماء والأرض، أو بالنقل آحاداً كالقرء للطهر والحيض..[١].

❐ الموضوع عند أهل الحديث: الكلام المختلق المصنوع، والمكذوب على رسول الله ﷺ[٢].

❐ الموضوع عند المفسرين: «القضية التى تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن الكريم، ولها جهة واحدة تجمعها، عن طريق المعنى الواحد، أو الغاية الواحدة»[٣].

جـ - «التفسير الموضوعى» بمعناه المركب :

اختلفت عبارات المعرفين للتفسير الموضوعى ولم تتفق على معان وألفاظ محددة، والتفسير الموضوعى بهذا الإسم لم يكن معروفاً عند القدماء كما سيأتى في المباحث التالية لذلك فإننا سنعرض تعريفات للمتخصصين فى علم التفسير فى عصرنا الحاضر، ثم ننتقى مانراه الأقرب إلى تحديد المعنى المقصود للتفسير الموضوعى:

❐ يرى الدكتور محمد البهى أن التفسير الموضوعى هو استخلاص مضمون الكتاب ككل من نظرة موضوعية شاملة مرة.. أو استخلاص موضوع محدد: كمنهج القرآن في تطوير المجتمع، أو موقف القرآن من المادية، مرة أخرى... أو استخلاص هدف السورة الواحدة وماعنيت بإبرازه فى إطار الدعوة كلها، مرة ثالثة[٤].

---

(١) المصدر السابق: ص٩٣٥ .

(٢) انظر الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث: أحمد شاكر ص٧٨ .

(٣) المدخل إلي التفسير الموضوعى: د. عبد الستار فتح الله سعيد، ص٢٠ .

(٤) نحو القرآن: د. محمد البهى، ص١٠٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ ويرى تلميذه الدكتور عبد الغنى الراجحى أن التفسير الموضوعى هو «جمع - فى كل موضوع - مايتعلق به من الآيات المتفرقة فى أكثر من سورة، ثم تقرب تلك الآيات تحت عنوان واحد، وتجمع لتدرس دراسة مقارنة وتحليل»(١)

❐ ويرى الدكتور محمد أحمد القاسم أن «التفسير الموضوعى» هو «عبارة عن جمع الآيات القرآنية التى تتحدث عن موضوع واحد، مشتركة في الهدف، وترتيبها على حسب النزول - كلما أمكن ذلك - ثم تناولها بالشرح والتفصيل وبيان حكمة الشارع فى شرعه وقوانينه، مع الإحاطة التامة بكل جوانب الموضوع كما ورد فى القرآن الكريم، والذب عما يمكن أن يكون قد أثير حوله من شبه الضالين والملحدين من أعداء الدين»(٢).

❐ ويرى الدكتور محمد عبد السلام محمد أن التفسير الموضوعى هو «أن يختار موضوعاً من الموضوعات التى تناولها القرآن الكريم فتجمع الآيات والسور التى وردت بشأنه ثم تفسر علي نحو يضم أجزاءها، ويجمع متفرقها ويربط بعضها ببعض، فتكتمل بذلك صورة الموضوع»(٣).

❐ ويرى الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد أن التفسير هو «علم يبحث فى قضايا القرآن الكريم، معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة، لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع»(٤).

❐ ويرى الدكتور حسن يونس أن التفسير الموضوعى هو «جمع الآيات القرآنية ذات الموضع الواحد ثم شرحها واستيفاء جميع مافيها واستكمال

---

(١) آدم عليه السلام كما تحدث القرآن: د. عبد الغنى الراجحى، ص٢٣ .

(٢) التفسير الموضوعى للقرآن الكريم: د. محمد أحمد القاسم، ص٧ .

(٣) دراسات فى القرآن الكريم من التفسير الموضوعى: د. محمد عبد السلام، ص٢٢ .

(٤) المدخل إلى التفسير الموضوعى: د. عبد الستار فتح الله سعيد، ص٢٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموضوع من السنة النبوية والآثار حتى يصير موضوعاً مكتملاً بعناصره وأقسامه مستوفى من كل جوانبه»[١].

❐ ويرى الدكتور زاهر بن عواض الألمعى أن «التفسير الموضوعى» هو «عبارة عن جمع الآيات القرآنية التى تتحدث عن موضوع واحد، مشتركة فى الهدف، وترتيبها على حسب النزول - كلما أمكن ذلك - ثم تناولها بالشرح والتفصيل وبيان حكمة الشارع فى شرعه وقوانينه، مع الإحاطة التامة بكل جوانب الموضوع كما ورد فى القرآن الكريم، والكشف عما يمكن أن يكون قد أثير حوله من شبه الضالين والملحدين من أعداء الدين.[٢]

❐ ويرى الدكتور محمد إبراهيم الشريف أن التفسير الموضوعى هو «منهج يعمد فيه المفسر أولاً جمع الآيات التى وردت فى موضوع واحد ثم يضعها أمامه كمواد يحللها ويفقه معانيها ويعرف النسبة بين البعض فيتجلى له الحكم ويتبين مرماها، وبذلك يضع كل شئ موضعه، ولايكره آية على معنى لاتريده، كما لايغفل عن مزية من مزايا الصوغ الإلهى الحكيم»[٣].

التعريف المختار للتفسير الموضوعى:

هو علم يبحث فى قضايا القرآن الكريم، المتحدة فى المعنى أو الغاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر .

---

(١) دراسات ومباحث فى تاريخ التفسير: د. حسن يونس، ص١٩ .

(٢) دراسات فى التفسير الموضوعى للقرآن الكريم: د. زاهر الألمعى، ص٧ .

(٣) بحوث فى تفسير القرآن الكريم: د. محمد إبراهيم الشريف. ص٢١٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثانى
موقع التفسير الموضوعى من بقية أقسام التفسير

تنوعت اصطلاحات العلماء في تقسيم التفسير، وكل تقسيم له اعتباراته الخاصة، فمن أقسام التفسير:

١ - التقسيم الأول: باعتبار العناية باللفظ والمعنى .

ينقسم التفسير إلى قسمين :

أ - تفسير لفظى: وهو مايتعلق بلفظ القرآن .

ب - تفسير معنوى: وهو مايتعلق بمعانى القرآن الكريم وهو التفسير الذى يكشف عن معانى الآيات الكريمة.

٢ - التقسيم الثانى: باعتبار مذاهبه .

أ - تفسير بالمأثور .

ب - تفسير بالرأى .

٣ - التقسيم الثالث: باعتبار جوازه وعدمه :

أ - تفسير جائز: ماكان موافقاً لقواعد وشروط التفسير .

ب - تفسير غير جائز: ماكان وفق الهوى ولايلتزم فيه صاحبه بالقواعد الصحيحة للتفسير .

٤ - التقسيم الرابع: باعتبار معرفة الناس «وهو تقسيم عبد الله بن عباس»[١].

أ - قسم تعرفه العرب من كلامها .

وهو الذى يرجع فيه إلى لسانهم، وذلك: اللغة، والإعراب .

---

(١) انظرالبرهان فى علوم القرآن للزركشى ج٢ ص١٦٤ ، وهذا الأثر مروى عن ابن عباس كما فى تفسير ابن جرير وغيره .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما اللغة: فعلى المفسر معرفة معانيها، ومسميات أسمائها، وأما الإعراب: فما كان اختلافه محيلاً للمعنى، وجب عليه تعلمه ليصل به إلى معرفة الحكم، وإلا فلا، لوصوله إلى المقصود بدونه.(١)

ب - قسم لايعذر أحد بجهالته :

وهو مايتبادر معناه إلى الأفهام، من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام، ودلائل التوحيد، إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد، من قوله: ﴿فاعلم أنه لاإله إلا الله﴾(٢) وأن مقتضى ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾(٣) ونحوه: طلب إيجاد المأمور به، فما كان من نحو هذا، فلا يعذر أحد بجهله بمعانى ألفاظه، لأنها معلومة لكل أحد.

جـ - قسم يعلمه العلماء خاصة :

وهو: استنباط الأحكام، وبيان المجمل، وتخصيص العموم، وكل لفظ احتمل معنيين فصاعداً، فيرجع فى ذلك إلى اجتهادهم، وعليهم اعتماد الشواهد، والدلائل دون مجرد الرأى، وإذا كان أحد المعنيين أظهر وجب الحمل عليه، إلا أن يقوم دليل، على أن المراد هو الخفى.

د - قسم لايعلمه إلا الله :

وهو مايجرى مجرى الغيوب نحو الآى المتضمنة قيام الساعة ونزول الغيث ومافى الأرحام، وتفسير الروح، والحروف المقطعة. وكل متشابه

---

(١) المصدر السابق ج٢ ص١٦٤، وانظر حاشية مقدمة التفسير لابن القاسم ص١١٩ .

(٢) محمد: ١٩ .

(٣) المزمل: ٢٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فى القرآن عند أهل الحق، فلا مساغ للاجتهاد فى تفسيره، ولاطريق إلى ذلك إلا بالتوقيف من أحد ثلاثة أوجه: إما نص من التنزيل، أو بيان من النبى ﷺ، أو إجماع الأمة على تأويله، فإذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات علمنا أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه.(١)

٥ - التقسيم الخامس: باعتبار طريقة شرح الآيات، وجمع معانيها، وهو تقسيم حديث، وهو الذى يشمل التفسير الموضوعى:

أ - التفسير التحليلى : وهو أن يقوم المفسر بتتبع الآيات حسب ترتيبها فى المصحف، ويعتنى فى تفسيره بحل الألفاظ وذكر اللغة. والإعراب والبلاغة والقراءت وذكر سبب النزول إن وجد مع ذكر الربط بين الآيات وتحليل ألفاظ الآية وشرح جزئياتها ثم ذكر الاستنباط ومايؤخذ من الآيات .

❐ ويعتبر التفسير التحليلى من أقدم الأقسام، وهو الشائع فى المؤلفات والمصنفات فى التفسير - قديماً وحديثاً - رغم التفاوت الكبير بينها في التوسع والإيجاز أو فى الإقتصار على المأثور أو الاعتماد على الرأى أو الجمع بينهما .

❐ ومن نماذج كتب التفسير التحليلى تفسير ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) وتفسير ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) وتفسير الفخر الرازى (ت ٦٠٦هـ) وغيرها .

٢ - التفسير الإجمالي: وهو التفسير الذى «يعمد فيه المفسر إلى الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف فيبين معانى الجمل فيها متتبعاً ماترمى إليه الجمل من أهداف ويصوغ ذلك بعبارات من ألفاظه ليسهل فهمها وتتضح مقاصدها للقارئ والمستمع»(٢).

---

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى جـ٢ ص١٦٦ .

(٢) أصول التفسير ومناهجه: د. فهد الرومى ص٥٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

□ وهذا القسم هو المستعمل غالباً فى أحاديث التفسير فى الإذاعة والتلفاز ومن أشهر المؤلفات التى لها نفس الأسلوب هذا: تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن سعدى، والتيسير فى أحاديث التفسير لمحمد مكى الناصرى.

٣ - التفسير المقارن: وهو أن يعمد فيه المفسر إلى بعض الآيات القرآنية، أو إلى سورة معينة، ويشرحها ويذكر أقوال المفسرين فيها، ويوازن بين ماجاء فى كل كتاب ومسلك كل مفسر فى تفسيره لهذه الآيات، ثم يقارن بين ماورد فيها ويستخلص النتائج من تعدد الآراء واتفاقهم أو اختلافهم وهذا القسم ميادينه فسيحة وله وجوه متعددة من أهمها: أن يعقد المفسر «المقارنة» بين نص قرآنى ونص قرانى آخر اتفاقاً أو ظاهرة الاختلاف ومن هذا النوع علم تأويل مشكل القرآن، والمؤلفات فيه معلومة. وقد تكون المقارنة بين النصين القرآنيين لإبراز معانى لايوصل إليها أحد النصين، إذ أن أحدهما مكمل للآخر، فقد تختلف العبارة بين النصين إيجازاً وإطناباً، أو إجمالاً وبياناً، أو عموماً وخصوصاً وغير ذلك، وقد يظهر ذلك جلياً فى جانب القصص القرآنى حيث إن جمع نصوص القصة الواحدة فى القرآن يؤدى إلى تكامل القصة وترابط الأحداث. فضلاً عن أن المفسر يستنبط الأسباب ويكشف عن الأسرار والحكم التى من أجلها كان الاختلاف بين التعبيرين، والمغايرة بين الأسلوبين، بلفظ مرة وبآخر أخرى، وبصيغ مختلفة»[١].

٤ - التفسير الموضوعى: وهو موضوع الدراسة .

ومن هنا نتبين موقع التفسير الموضوعى من بقية أقسام التفسير .

---

(١) المصدر السابق ص٦١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث

تاريخ «التفسير الموضوعى» ومراحله التى مر بها

برغم أن «التفسير الموضوعى» كمصطلح لم يظهر إلا فى عصرنا الحاضر (فى القرن الرابع عشر الهجرى) لكن المتمعن فى حقيقة هذا اللون من التفسير يجد أن لبناته وعناصرها الأولى كانت موجودة منذ نزول القرآن مروراً بالمراحل التى سار فيها التفسير.

وسوف يأتى عرض لنشأة التفسير الموضوعى وتطوره حتى وصل إلينا اليوم.

أولاً: «التفسير الموضوعى» فى عصر ماقبل التدوين :

١ - تفسير القرآن بالقرآن :

يعتبر تفسير القرآن بالقرآن من أحسن طرق التفسير، وفى ذلك يقول الإمام ابن تيمية «إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن الكريم، فما أجمل فى مكان فقد بسط في موضع آخر»(١)، والناظر إلى تفسير القرآن بالقرآن يجده قريباً - نوعاً ما - من مفهوم «التفسير الموضوعى» الذى يقوم فيه المفسر بجمع الآيات التى تتناول قضية معينة وتفسيرها بعد ذلك .

ولعل من أقرب الأمثلة التى تقرر أهمية الجمع الموضوعى فى آيات القرآن الكريم ماجاء في قول الله عز وجل من سورة النساء ﴿**ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك**﴾(٢) فقوله تعالى ﴿**قصصناهم عليك من قبل**﴾ إحالة إلى الآيات السابقة فى النزول والتي ورد فيها تفصيل أسماء الرسل والأنبياء فقد ورد منهم في سورة الأنعام ثمانية عشر رسولاً من أصل خمسة وعشرين رسولاً ونبياً - ورد ذكرهم في القرآن،

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ص٣٩ .

(٢) النساء: ١٦٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذكرت أسماء سبعة منهم فى سور أخرى وهم سيدنا محمد وهود وشعيب وصالح وإدريس وذو الكفل وآدم .

ومن أمثلة ذلك ماجاء فى مطلع سورة المائدة.. ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا مايتلى عليكم﴾[١] ومعناه أى «يقرأ عليكم فى القرآن والسنة» من قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وماأهل لغير الله به﴾[٢] وقوله عليه الصلاة والسلام: «وكل ذى ناب من السباع حرام»[٣][٤] أو جاء تفصيله فى سورة الأنعام عند قوله ﴿قل لاأجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به﴾[٥].

ومن الأمثلة الأخرى - أيضاً - قول الله عز وجل ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك من قبل﴾[٦]، وهى إحالة إلى مانزل قبل ذلك من نحو قول الله عز وجل ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو مااختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾[٧].

---

(١) المائدة: ١ .

(٢) المائدة: ٣ .

(٣) أخرجه مسلم والنسائى .

(٤) الجامع لأحكام القرآن: القرطبى ٦/ ٣٥ .

(٥) الأنعام: ١٤٦ .

(٦) النحل: ١١٨ .

(٧) الأنعام: ١٤٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢ - تفسير القرآن بالسنة :

من وظائف النبى ﷺ الأساسية بيان ماجاء فى القرآن وتفسيره للأمة، فقد أمره الله بذلك وقال له ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾(١) وقد وردت أحاديث عن النبى ﷺ وهو يفسر للصحابة رضى الله عنهم ماجاء في القرآن من خلال ربطهم بما ورد فى القرآن فى الموضوع نفسه.

ومن أمثلة ذلك ماذكره عبد الله بن مسعود رضى اله عنه أنه لما نزلت هذه الآية: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾(٢) شق ذلك على الناس. فقالوا يارسول الله: وأينا لايظلم نفسه؟ قال: إنه ليس الذى تعنون، ألم تسمعوا ماقال العبد الصالح: ﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾(٣)، إنما هو الشرك(٤). ففى هذا المثال أحالهم النبى ﷺ إلى لفظ «الظلم» فى القرآن وأنه تعددت معانيه حسب المقام .

٣ - التفسير الموضوعى عند الصحابة والتابعين :

لقد كان لتفسير الصحابة الكرام- رضوان الله تعالى عليهم - أهميته وذلك «لما شاهدوه من القرائن والأحوال التى اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لاسيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين..»(٥).. وقد لجأ الصحابة في تفسيره القرآن إلى الجمع بين الآيات القرآنية وتفسيرها بعد رد بعضها إلي بعض، ومن ذلك ماروى «أن عثمان

---

(١) النحل: ٤٤ .

(٢) الأنعام: ٨٢ .

(٣) لقمان: ١٣ .

(٤) صحيح البخارى، كتاب التفسير ٦/ ٢٠، صحيح مسلم، كتاب الإيمان ١/ ٨٠ .

(٥) مقدمة فى أصول التفسير: أحمدبن عبد الحليم بن تيمية، ص٤٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عثمان قد أتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر، فأراد أن يقضى عليها بالحد، فقال له على رضى الله عنه: ليس ذلك عليها، قال تعالى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾(١). وقال تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾(٢) فالرضاع أربعة وعشرون شهراً والحمل ستة أشهر، فرجع عثمان عن قوله ولم يحدها..(٣).

❑ ولقد استمر مثل هذا اللون - القريب من التفسير الموضوعى - عند التابعين الذين تلقوا التفسير عن الصحابة رضوان الله عليهم. ومن أمثلة ذلك ماروى أن الحسن البصرى التابعى الجليل قال عند قول الله عز وجل ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾(٤)، هم اليهود والنصارى، قالوا: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾(٥)، وقالوا: ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾(٦).. (٧).

ثانياً: «التفسير الموضوعى» فى عصر التدوين :

انقضى عهد الصحابة والتابعين وكانت همة علمائهم متجهة إلى نشر علم التفسير بالرواية والتلقين لابالكتابة والتدوين .

❑ وبعد التابعين جاء أتباع التابعين فبدأوا بتأليف المصنفات التى تجمع أقوال الصحابة والتابعين فى التفسير، تبدأ هذه المرحلة عند نهاية القرن

---

(١) الأحقاف: ١٥ .

(٢) البقرة: ٢٣٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد الأنصارى القرطبى، ١٦٣/١٦.

(٤) النساء: ٤٦ .

(٥) المائدة: ١٨ .

(٦) البقرة: ١١١ .

(٧) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٤٥٢/٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأول وبداية القرن الثانى، وقد مر تدوين التفسير بمراحل وخطوات متعددة، لكل منهما ميزاتها الخاصة .

❐ ولقد ظهرت بجوار المصنفات فى تفسير القرآن أنواع أخرى من المؤلفات والمصنفات التى تعتبر - إلي حد قريب - لوناً من ألوان التفسير الموضوعى، وضرباً من ضروبه، ومن ذلك :

١ - الدراسات التفسيرية التى تجمع الآيات القرآنية ذات الوجهة الواحدة، أو التى يمكن أن تدخل تحت عنوان واحد، من مثل:

- (الناسخ والمنسوخ) من تأليف قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) وهو ضرب من التفسير الموضوعى بمعناه العام .
- (الناسخ والمنسوخ) من تأليف القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) .
- (أسباب النزول) من تأليف على بن المدينى (ت ٢٣٤هـ) .
- (مجاز القرآن) من تأليف معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) .
- (تأويل مشكل القرآن) من تأليف ابن قتيبة(ت ٢٧٦هـ) .
- (أقسام القرآن) من تأليف ابن القيم (ت ٧٥١هـ) وقد جمع فيه الآيات التى أقسم الله تعالى فيها بذاته، أو بصفاته، أو بالأشياء والمخلوقات .

٢ - الدراسات التفسيرية التى تجمع الآيات والألفاظ القرآنية لمعرفة دلالاتها اللغوية المختلفة، من مثل :

- (الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم) لمقاتل بن سليمان البلخى (ت ١٥٠هـ) .
- (التصاريف) ليحيى بن سلام (ت ٢٠٠هـ) وفيه تفسير ماشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه .
- (ماتفق لفظه واختلف معناه فى القرآن المجيد) للمبرد (ت ٢٨٦هـ) .
- (مفردات ألفاظ القرآن) للراغب الأصفهانى، وفيه يتتبع المؤلف مادة الكلمة القرآنية مع بيان دلالاتها فى مختلف الآيات .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- (إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم) للدامغانى (ت ٤٧٨هـ).
- (نزهة الأعين النواظر فى علم الوجـــوه والنظائر) لابن الجـــوزى (ت ٥٩٧هـ).

٣ - الدراسات التفسيرية التى تجمع آيات الأحكام، وهو لون من ألوان التفسير الموضوعى العام، من مثل :

- (أحكام القرآن) للجصاص الحنفى (ت ٣٧٠هـ) .
- (أحكام القرآن) لإلكيا الهراسى الشافعى (ت ٥٠٤هـ).
- (أحكام القرآن) لابن العربى المالكى (ت ٥٤٣هـ) .
- (الدراية وكنز الغناية فى تفسير خمسمائة آية) لأبي الحوارى العمانى الأباضى (توفى فى القرن الرابع) .

ثالثاً: التفسير الموضوعى) فى العصر الحديث :

١ - لازال التأليف فى «التفسير الموضوعى) بمعناه العام مستمراً إلى يومنا هذا:

- فمن الدراسات التفسيرية التى تجمع الآيات التى تشترك فى موضوع واحد كتاب «النسخ في القرآن الكريم» للدكتور مصطفي زيد .
- ومن الدراسات التفسيرية التى تبحث فى دلالات الألفاظ ومعانيها كتاب «الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين» للدكتور هادى عطية الهلالى.
- ومن الدراسات التفسيرية التى تجمع آيات الأحكام كتاب «أضواء البيان في تفسير آيات الأحكام» لمحمد على الصابونى .

وهناك مؤلفات أخرى تدخل ضمن «التفسير الموضوعى» بمعناه العام: من مثل:

- «التفسير البيانى للقرآن الكريم» للدكتورة عائشة عبد الرحمن .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- «تفسير الآيات الكونية» للدكتور عبد الله شحاته .
- «دستور الأخلاق فى القرآن» للدكتور عبد الله دراز .
- «الدستور القرآنى فى شؤون الحياة» للدكتور محمد عزت دروزة .

٢ - وفى العصر الحاضر بدأ «التفسير الموضوعى» يخطو خطوات واسعة نحو الاكتمال حيث اتجه التأليف فيه وجهة جديدة، تقوم على تحديد الموضوع، وتناوله من جانبه الخاص، وربط عناصره ومسائله برباط الأقرب، ليتم التمايز بين الموضوعات القرآنية المتكاثرة، وليعلم مافي كل منها من وجوه الإحكام والكمال، مافيها مجتمعة من وجوه الترابط والتمام .

□ وعلى هذا: يتحدد مصطلح «التفسير الموضوعى» الآن فى هذا النوع الخاص، الذى يتلخص فى:

جمع الآيات الكريمة ذات المعنى الواحد، ووضعها تحت عنوان واحد، والنظر فيها بما يؤلف منها موضوعاً واحداً، مستخرجاً من الآيات الكريمة على هيئة مخصوصة .

وهذا منهج جديد على الدراسات التفسيرية والقرآنية، وقد دعت إليه حاجة المجتمع، وظروف العصر، وهيأ الله تعالي الأسباب لإبرازه واتجاهه نحو الاكتمال، على أيدى المسلمين، وغيرهم مصداقاً لوعده الوثيق: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾(١) .. (٢).

ومن المؤلفات فى هذا اللون الخاص من «التفسير الموضوعى»:

- المرأة فى القرآن الكريم: للعقاد .
- الإنسان فى القرآن الكريم: للعقاد .
- القرآن والطب: لمحمد وصفى .

---

(١) الحجر: ٩ .

(٢) المدخل إلى التفسير الموضوعى. ص: ٣٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- التربية في القرآن: لمحمد شديد .
- آيات الجهاد فى القرآن: لكامل سلامة الدقس .
- بنوا إسرائيل فى القرآن: للدكتور محمد عبد السلام أبو النيل .
- سير الرسول مقتبسة من القرآن: لمحمد عزت دروزة .
- فرعون فى القرآن: لأبى الأعلي المودودى .
- الصبر فى القرآن: للدكتور يوسف القرضاوى .

❑ ومن الملاحظ أن هذه الموضوعات لاتكاد تنتهى «فكلما جد جديد في العلوم المعاصرة التفت علماء المسلمين إلى القرآن الكريم ليسترشدوا بهداياته وينظروا فى توجيهات الآيات الكريمة فى مثل هذه المجالات الجديدة. (١)

٣ - وظهر فى العصر الحديث أيضاً فى سياق الاهتمام بـ«التفسير الموضوعى» مؤلفات تعنى بتبويب وفهرسة آيات القرآن بحسب موضوعاتها، ومن العجيب أن يد السبق فى التأليف في هذا السياق كانت لباحث مستشرق فرنسى هو «جول لابوم» حيث صنف كتاباً يحمل اسم «تفصيل آيات الذكر الحكيم» حاول فيه توزيع آيات القرآن على ثمانية عشر باباً، وجعل تحت كل باب فروعاً وفصولاً تبلغ نحو ٣٥٠ فرعاً وجمع تحت كل باب وفرع شتيت الآيات المفرقة فى سورها المختلفة التى تتناول موضوعاً واحد من وجهة نظر المؤلف - وجعل لهذه الأبواب عناوين عديدة .

وهذ الكتاب رغم مافيه من تعسف - في كثير من الأحيان - فى حشر بعض الآيات مع آيات أخرى لم تتفق معها فى الموضوعات، ورغم أن فاته الكثير من الآيات التى لم تدخل تحت تلك الأبواب والفروع إلا أن هذا الكتاب فى حد ذاته خطوة كبيرة فى مجال تبويب آيات القرآن بحسب

---

(١) مباحث فى التفسير الموضوعى: د. مصطفى مسلم، ص٢٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

موضوعاته، ولقد ظهرت مصنفات حديثة قامت بالسير على النهج نفسه فألف محمد مصطفى محمد كتابه «الفهرس الموضوعى لآيات القرآن الكريم» حاول فيه تدارك مافات أولئك، وقام بترتيب تسلسل الموضوعات وفق مناهج تدريس الكتب الإسلامية: العقائد - العبادات - الأحكام - الاجتماعيات - المعاملات - الأمثال والقصص .

٤ - وفى العصر الحديث أيضاً ظهرت دراسات ومؤلفات تختص بإلقاء الضوء على هذا اللون من التفسير - وهو «التفسير الموضوعى» - من الناحية المنهجية من حيث التعريف به، وبنشأته وأنواعه وألوانه، ومن هذه الدراسات والمؤلفات نذكر منها :

- التفسير الموضوعى للقرآن الكريم، للدكتور محمد أحمد يوسف القاسم.
- المدخل إلى التفسير الموضوعى، للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد .
- دراسات فى التفسير الموضوعى، للدكتور زاهر بن عواض الألمعى.
- مباحث في التفسير الموضوعى، للدكتور مصطفى مسلم .
- دراسات في التفسير الموضوعى، للدكتور أحمد جمال العمرى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الرابع
أقسام التفسير الموضوعى وأنواعه

اختلفت تقسيمات التفسير الموضوعى عند الباحثين فى هذا الميدان تبعاً لاختلافهم فى تحديد المراد من التفسير الموضوعى، ونحن من خلال استقراء الآراء فى هذه القضية ومن خلال - أيضاً - الاستعراض التاريخى لنشوء التفسير الموضوعى وماألف فيه قد نصل إلى تصور معين يمكن أن نلحظ من خلاله ثلاثة ألوان للتفسير الموضوعى، وينقسم بعض هذه الألوان إلى أكثر من نوع :

القسم الأول :

جمع الآيات القرآنية التى تتناول (لفظة) من كلمات القرآن أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، ثم استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها .

وقد اهتمت بهذا اللون من التفسير الموضوعى كتب الأشباه والوجوه والنظائر[١] وأيضاً كتب الغريب إلا أنها وقفت عند حد بيان دلالة الكلمة فى

---

(١) المقصود من الوجوه والنظائر - كما يذكر ابن الجوزى - أن النظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعانى، ومعنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت فى مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت فى موضع نظر للفظ الكلمة المذكورة فى الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت فى موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة فى الموضع الآخر، تفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه. (نزهة الأعين النواظر، ص٨٣) .

والأشباه: جمع (شبه) والشبه هو المثل (المعجم الوجيز، ص٣٣٥)، والنظير أيضاً بمعنى: المثل والمساوئ (المعجم الوجيزة ص٦٢٣) وعليه فإن الأشباه والنظائر يتقارب معناهما من الناحية اللغوية .

===

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

موضعها، ولم يحاول مؤلفوها الربط بينها في مختلف السور، لذا بقى تفسيرهم للكلمة يدور فى محيط الدلالة اللفظية.(١)

=== ومن أشهر الكتب فى علم الوجوه والأبشاه والنظائر:

١ - الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم: مقاتل بن سليمان البلخى (ت ١٥٠هـ).

٢ - مااتفق لفظه واختلف معناه: أبو العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ).

٣ - تحصيل نظائر القرآن الكريم: الحكيم الترمذى (ت ٣٢٠هـ).

٤ - الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: الحسين بن محمد الدامغانى (ت ٤٧٨هـ).

٥ - نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (ت ٥٩٧هـ).

٦ - وجوه القرآن: أبو العباس أحمد بن على المقرئ (ت ٦٥٨هـ).

٧ - كشف السرائر فى معنى الوجوه والنظائر: شمس الدين بن العماد (ت ٨٨٧هـ).

(١) من أشهر كتب الوجوه والنظائر كتاب: (نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر) لابن الجوزى (ت ٥٩٧هـ)، وفيما يأتى نموذج من أسلوب المؤلف فى استعراض معانى (ألفاظ) القرآن :

يقول ابن الجوزى: باب الأمة .

قال ابن قتيبة: أصل الأمة: الصنف من الناس والجماعة .

وذكر أهل التفسير أن الأمة فى القرآن على خمسة أوجه (٥٦٢):

أحدهما: الجماعة. ومنه قوله تعالى فى البقرة: ﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾، وفيها: ﴿تلك أمة قد خلت﴾، وفى آل عمران ﴿أمة قائمة﴾، وفي المائدة: ﴿منهم أمة مقتصدة﴾، وفى الأعراف: ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ .

والثانى: الله، ومنه قوله تعالى فى البقرة: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ وفى يونس: ﴿وماكان الناس إلا أمة واحدة﴾، وفى النحل: ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾، وفى الأنبياء، والمؤمنين: ﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ .

والثالث: الحين. ومنه قوله تعالى فى هود: ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة﴾، وفى يوسف: ﴿وادكر بعد أمة﴾، وليس فى القرآن غيرهما، وأراد بالحين فى الآيتين السنين . ===

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولقد توسع هذا اللون من التفسير الموضوعى في العصر الحاضر «فتتبع المفسرون الكلمة وحاولوا الربط بين دلالتها فى مختلف المواضع وأظهروا بهذه الطريقة معانى جديدة، وألواناً من البلاغة ووجوهاً من الإعجاز القرآنى، واستنبطوا دلالات قرآنية دقيقة لاتظهر بغير هذا المسلك»(١).

اللون الثانى:

أن يتناول المفسر موضوعاً معيناً يعرضه من خلال سورة واحدة، ويتم ذلك من خلال تحديد «هدف السورة الأساسى، أو أهدافها الرئيسية، ثم يبحث عن

=== قال ابن قتيبة كأن الأمة من الناس، القرن ينقرضون فى الحين فأقيمت الأمة مقام الحين.

والرابع: الإمام ومنه قوله تعالى فى النحل: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً﴾.

قال ابن قتيبة يعنى إماماً يقتدى به، فسمى أمة لأنه سبب الاجتماع، ويجوز أن يكون سمى أمة لأنه اجتمع فيه من خلال الخير مايكون مثله فى الأمة .

والخامس: الصنف. ومنه قوله تعالى فى الأنعام: ﴿ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾، أى: أصناف، فكل صنف من الطير والدواب مثل بنى آدم في طلب الغذاء، وتوقى المهالك ونحو ذلك (نزهة الأعين النواظر: ص١٤٢-١٤٤) .

(١) أصول التفسير ومناهجه: د. فهد الرومى، ص: ٦٦ .

ومن أبرز المؤلفات فى هذا اللون من التفسير الموضوعى .

١ - كلمة (الحق) فى القرآن الكريم للشيخ محمد بن عبد الرحمن الراوى .

٢ - المصطلحات الأربعة فى القرآن (الإله، الرب، العبادة، الدين) لأبى الأعلى المودودى .

٣ - الأمة فى دلالتها العربية والقرآنية للدكتور أحمد حسن فرحات .

٤ - (الحمد) فى القرآن الكريم للكتور محمد محمد خليفة .

٥ - من مفردات القرآن (المنافقون)للدكتور محمد جميل غازى .

٦ - تأملات حول وسائل الإدراك فى القرآن الكريم (الحس، والعقل، والقلب، واللب، والفؤاد) للدكتور محمد الشرقاوى. (المصدر السابق: ص٦٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سبب النزول للسورة أو الآيات التى عرضت الموضوع الأساسى للسورة، ثم ينظر إلى ترتيب نزول السورة من بين السور المكية أو المدنية، ثم يدرس الأساليب القرآنية فى عرض الموضوع والمناسبات بين مقاطع الآيات في السورة»[١].

❐ وسيجد الباحث أن «لكل سورة من السور القرآنية شخصيتها المستقلة وأن لها هدفاً واضحاً ترمى إلى إيضاحه وبيانه، وإدراك هدف السورة يكشف للباحث معانى دقيقة، ومناسبات لطيفة، وصوراً بليغة»[٢].

❐ وهذا اللون من التفسير الموضوعى «لم يظفر بعناية المفسرين القدماء بل جاء فى ثنايا تفاسيرهم الإشارة إلى بعض أهداف السور وخاصة القصيرة منها، وكذلك التوخى لوجه المناسبة بين مقاطع بعض السور، كما فعل الفخر الرازى فى تفسيره الكبير، وكما فعل البقاعى فى نظم الدرر، وعبدا لحميد الفراهى فى كتابه نظام القرآن. أما في العصر الحديث فقد كان سيد قطب مولعاً بعرض أهداف وأساسيات كل سورة، قبل البدأ فى تفسيرها، وبيان شخصية كل سورة وملامحها المتميزة عن بقية السور. والأساليب المتبعة فى عرض أفكارها. فيعتبر كتابه (فى ظلال القرآن) نموذجاً جيداً وبخاصة مقدمة تفسيره لكل سورة»[٣].

---

(١) مباحث فى التفسير: د. مصطفى مسلم ص٢٨، ٢٩ .

(٢) أصول التفسير ومناهجه: د. فهد الرومى، ص٦٨ .

(٣) مباحث فى التفسير الموضوعى: د. مصطفى مسلم، ص: ٢٩ .

ومن أمثلة المؤلفات فى هذا اللون من التفسير الموضوعى:

١ - أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات فى سورة الأعراف: عبد الحميد طهماز.

٢ - النبى ﷺ وأزواجه فى سورة الأحزاب: عبد الحميد طهماز .

٣ - التوراة والإنجيل فى سورة آل عمران: عبد الحميد طهماز .

٤ - أسباب النصر في سورة الأنفال: عبد الحميد طهماز .

٥ - تصور الألوهية كما تعرضها سورة الأنعام: د. إبراهيم زيد الكيلانى. ===

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللون الثالث :

جمع الآيات التى تتناول قضية واحدة، وموضوع واحد من خلال سور القرآن الكريم جميعها «والمفسر على هذا النحو يجعل همه الموضوع ذاته ومايؤدى إليه فلا يشغل نفسه بذكر القراءات، ووجوه الإعراب، وصور البلاغة، إلا بمقدار صلتها بالموضوع وماتخدم منه»(١).

❐ وهذا اللون من التفسير الموضوعى هو المعمول به - فى الغالب - فى مجال البحوث العلمية الموضوعية، «وإذا ماأطلقت كلمة: «تفسير موضوعى» فلا يفهم منها إلا بحث موضوع من موضوعات القرآن الكريم على مستوى القرآن جميعه»(٢).

وهذا اللون من التفسير الموضوعى يمكن تقسيمه - باعتبار الرابطة - إلى نوعين :

١ - النوع الأول: التفسير الموضوعى العام :

وهو الذى بين أجزاء موضوعه وأطرافه إتحاد الغاية فقط لاأصل المعنى. ومثل هذا النوع «لابد أن يكون لموضوعه أصل فى القرآن الكريم لاخلاف فيه، ولكن تحته قضايا كثيرة متعددة، لايربط بينها إلا وحدة الغاية، وهى وحدة محققة، وإن كانت عامة بعيدة. مثال ذلك تفاسير آيات الأحكام جميعاً. فموضوعها- وهو الأحكام القرآنية - موجود فى القرآن بيقين، لكن تحته قضايا متعددة: كالصلاة، والحدود، والربا، والعدة، والجهاد...»(٣).

=== ٦ - قضية الرسالة كما تعرضها سورة الأنعام: د. إبراهيم زيد اكيلانى .

٧ - صائر الحق فى سورة الأنعام: عبد الحميد طهماز .

٨ - قضايا المرأة فى سورة النساء: د. محمد يوسف .

٩ - قضايا العقيدة فى ضوء سورة (ق): د. كمال محمد عيسى .

(١) أصول التفسير ومناهجه: د. فهد الرومى، ص٦٧ .

(٢) التفسير الموضوعى للقرآن: د. محمد القاسم، ص: ١٧ .

(٣) المدخل إلى التفسير الموضوعى: د. عبد الستار فتح الله سعيد ص: ٢٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا النوع من التفسير الموضوعى هو ماكان سائداً فى مؤلفات العلماء قديماً، مثل:

- أحكام القرآن، للجصاص (ت ٣٧٠هـ) .
- أسباب النزول لعلى بن المدينى (ت ٣٧٠هـ) .
- الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) .
- أقسام القرآن: لابن القيم (ت ٧٥١هـ) .

وحديثاً مثل :

- روائع البيان فى تفسير آيات الأحكام لمحمد على الصابونى .
- الدستور القرآنى فى شئون الحياة لمحمد عزة دروزة .
- دستور الأخلاق فى القرآن للدكتور محمد عبد الله دراز .

النوع الثانى: التفسيرالموضوعى الخاص:

وهو الذى بين أجزاء موضوعه وأطرافه اتحاد المعنى والغاية، ومثل هذا النوع لابد أن يكون الموضوع الذى يتناوله المفسر موضوعاً محدداً، ومثال على ذلك (اليهود في القرآن الكريم) «فهذا موضوع محدد، يدخل تحته آيات كثيرة كلها فى ذات الموضوع. ويجوز أن يقيد الموضوع بقيد ما فيزداد تخصيصاً مثل: «عقيدة اليهود الضالة فى ضوء القرآن»، وكلما زالت القيود قلت الأفراد، وازداد التخصيص، فى اطراد عكسى، وهذا النوع هو أحدث الأنواع جميعاً، هو الاصطلاح العلمى الجديد، وهو أولي النوعين باسم «التفسير الموضوعى» عند الإطلاق»[1].

---

(١) المصدر السابق ص٢٥، ٢٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ ولقد انتشر - في الزمن الحاضر - التأليف فى هذا النوع الخاص من التفسير الموضوعى - خاصة مع وجود الجامعات ومراكز النشر - ونذكر بعضاً من المؤلفات :

- الصبر فى القرآن: الدكتور يوسف القرضاوى .
- المال فى القرآن: محمود غريب .
- آيات الجهاد فى القرآن الكريم: كامل سلامة الدقس .
- اليهود فى القرآن الكريم: محمدعزة دروزة .
- فرعون في القرآن: أبو الأعلي المودودى .
- بنو إسرائيل فى القرآن: الدكتور السيد رزق الطويل .
- العقيدة في القرآن: الدكتور عبد السلام التونجى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الخامس
الفائدة من التفسير الموضوعى

تبرز فوائد عدة من وراء التفسير الموضوعى تصب فى خانة خدمة كتاب الله عز وجل، ومن هذه الفوائد :

١ - إبراز وجوه جديدة من الإعجاز :

الإعجاز هو إلحاق العجز بالذين تحداهم القرآن أن يأتوا بمثله أو بجزء منه، وهذا القرآن هو «معجزة الإسلام الباقية على الزمن، الصالحة لكل زمان ومكان، معجزة عقلية علمية ثقافية فى جوهرها وفى طريقة إثباتها وفى كل مايتعلق بها لأنها جاءت خاتمة لما سبقها من المعجزات الحسية المادية المنتهية بإنتهاء زمانها والتى كانت تتطور مع الإنسانية إلى أن بلغت كمال نضجها وأوج رشدها فأوتيت معجزة النضج والرشاد »[١].

❐ ويمكن لمن يتصدى للتفسير الموضوعى أن يبرز من خلاله وجوه جديدة من إعجاز القرآن الكريم الذى لاتنقضى عجائبه .

❐ ويرى الدكتور محمد البهى أن الطريق الأفل الذى يشير إلي القيمة الذاتية الحقيقية للقرآن كدليل صادق على رسالة الرسول عليه السلام هو التفسير الموضوعى وأنه هو السبيل الأيسر للإيمان بمستوى الرسالة الرفيع الذى يعجز عنه البشر.[٢].

❐ لذا نذكر بعض الوجوه من الإعجاز التى يبرزها هذا اللون من التفسير .

أ - إن القرآن برغم صغر حجمه، إلا أنه مشتمل علي هذه الموضوعات العظيمة الوافرة التى لاتكاد تتناهى، يقول صاحب مفردات القرآن[٣]

---

(١) قصة آدم كما تحدث القرآن الكريم: د. عبد الغنى الراجحى، ص: ١٣ .

(٢) انظر: نحو القرآن للدكتور محمد البهى، ص١١ .

(٣) هو الراغب الأصفهانى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم متضمن للمعنى الجم، وبحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه، والآلات الدنيوية عن استيفائه كما نبه عليه بقوله: ﴿ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفذت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾ (١)(٢).

ب - إن كل موضوع من هذا القرآن حين يتم جمعه على حدة نجده كياناً كاملاً مؤتلفاً غير مختلف، وهذا وحده يعتبر من أعظم وجوه الإعجاز، ذلك «لأن القرآن قد تواتر نزوله نجوماً متفرقة، على مدار ثلاثة وعشرين عاماً تقريباً، مابين مكة والمدينة، والسفر والحضر، وفى ظروف متباينة كالسلم والحرب، والنصر والهزيمة، والمنحة والمحنة، والجماعة المطاردة، والدولة المستقرة.

❐ نزلت نجوم كل موضوع مفرقة على هذه الأماكن والظروف، وضعت فى سورها متباعدة، وبينها فى النزول فواصل زمنية مختلفة .

❐ ومع هذا كله حين ننظر إلى كل نجم نجده فى موقعه من ترتيب السورة متآلفاً متناسقاً مع سابقه ولاحقه .

❐ ثم حين نجمع «نجوم الموضوع» معاً نجدها على غاية التوافق والتناسق، وكأن أقساطه جميعاً قد نزلت فى وقت واحد، تعالج قضية مافى موعدها وظروفها، ونجد قانوناً واحداً ينتظم النجوم جميعاً، وهذا ضرب بالغ الإعجاز، لايستطيعه بشر مهما أوتى من إحكام العقل، وجودة العلم والفكر» (٣).

---

(١) لقمان: ٢٧ .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهانى، ص٥٣، ٥٤ .

(٣) المدخل إلى التفسير الموضوعى: د. عبد الستار فتح الله سعيد ص٤١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢ - مراعاة حاجات المجتمع المتجددة:

لقد شهدت العصور الأخيرة تقدماً هائلاً فى العلوم والمعارف، وتغير طبائع كثير من البشر وعاداتهم وتقاليدهم عما كانت عليه فى السابق، وبرزت أفكار مستحدثة على الساحة الإنسانية، وكل ذلك لايمكن مواجهته والتماس الحلول الصحيحة له باللجوء إلى التفسير الموضوعى ونحن نجد «أن الباحث المسلم عندما يجابه مشكلة فى الحياة، أو تقدم له نظرية مستحدثة في علم النفس، أو علم الاجتماع، أو فى علوم الحضارة الإنسانية، أو العلوم الفلكية، أو العلوم الطبيعية أو نظرية في الاقتصاد... فإنه لايستطيع أن يجد لكل هذه النظريات المستجدة نصوصاً من آيات الذكر الحكيم تناقش مثل هذه القضية المطروحة وتبين حكم الله تعالي فيها، بل يلجأ الباحث عندئذ إلى معرفة الهدايات القرآنية وإرشادات السنة النبوية فى هذا الاتجاه ويجمع الأفكار الرئيسية فى هذا المجال، بحيث تتكون لديه ملكة لإدراك مقاصد القرآن الكريم فى هذا الصدد، وبمنظار القرآن الكريم ينظر إلى حل هذه المشكلة أو يقدم هذه النظرية.[١]

□ وعليه كان لابد لنا أن الاتجاه إلى القرآن لنستوحى منه «كل شأن من شئوننا ونسترشد به فى كل حال من أحوالنا، فهو الدواء من الأسقام النفسية والجسمية، وهو العلاج لكل مشاكلنا السياسية والاجتماعية»[٢] وفي ذلك يقول المولى عز وجل ﴿**إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم**﴾[٣].

---

(١) مباحث فى التفسير الموضوعى، د. مصطفى مسلم، ص٢٩ .

(٢) التفسير الموضوعى للقرآن الكريم: د. محمد أحمد قاسم، ص١١ .

(٣) الإسراء: ١١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- السعى لاستيعاب الحقيقة من جميع جنباتها :

جرت عادة الناس فى تأليف الكتب أن تقسم هذه الكتب إلى أبواب وفصول وأنواع، ولكل حقيقة من الحقائق الجهة المعينة والمكان الخاص بها التى تطلب منه، وليس على طالب الحقيقة إلا أن يعمد إليها حيث هى في مكانها من بين هذه الكتب، ثم يقوم بدراستها .

□ ولكن المتأمل والمتفحص يجد أن «كتاب الله المنزل جاء علي خلاف المعهود فى كتب الناس فلم تكن السورة فيه متخصصة لحقيقة واحدة، والحقيقة فيه لم تذكر فى موضع واحد وإنما تكرر ذكرها فى أكثر من موضع بعبارات وأساليب تختلف عمومًا وخصوصاً وإجمالاً وتفصيلاً وإطلاقاً وتقييداً وإيجازاً وإطناباً وناسخاً ومنسوخاً وتقديماً وتأخيراً وذكراً وحذفاً ونحو ذلك. فإذا كان المفسرون الأولون درجوا على تفسير القرآن ملتزمين ترتيب الآيات فى سورها فلم تكن دراستهم موضوعية تعالج الموضوع من جميع أطرافه، فلماذا لانجرب نحن المتأخرون دراسة القرآن دراسة موضوعية نجمع فى كل موضوع مايتعلق به من الآيات المتفرقة فى أكثر من سورة، نقرب الآيات تحت عنوان واحد نجمعها لندرسها دراس مقارنة وتحليل، فيتضح لنا وبسهولة ناسخ المنسوخ، ومخصص العموم ومبين المجمل ومقيد المطلق وموجب التقديم تارة والتأخير أخرى، فيكون ذلك أدعى إلي الاستيعاب ودراسة الحقيقة من جميع جنباتها »[١].

□ لذلك نجد أن «تخصيص موضوع بالبحث والدراسة يجمع أطرافه والاطلاع على أسباب النزول للآيات المتعلقة به، وتحديد المرحلة التى نزلت الآيات الكريمة تعالج بعض جوانبه، وتوجيه ماظاهره التعارض، كل ذلك يهيئ للموضوع جواً علمياً لدراسة هذا الموضوع بعمق وشمولية تثرى المعلومات حوله وتبلور قضاياه وتبرز معالمه»[٢].

---

(١) آدم عليه السلام كما تحدث القرآن: د. عبدالغنى الراجحى ص٢٣ .

(٢) مباحث فى التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم، ص٣١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤ - تصحيح مسار الدراسات القرآنية والعلمية :

□ القرآن الكريم هو دستور هذه الأمة وسر بقائها وعزها، لذلك لم ينل كتاب فى الأرض مانالله القرآن الكريم من دراسة وعناية، ولازال العلماء يجدون فيه إلى يومنا هذا علوماً وهدايات لاتنقطع .

□ وإذا كانت بعض العلوم القرآنية قد نالت «حظاً وافراً من جهود العلماء وصنفت فيها المصنفات الكثيرة مثل العلوم المتعلقة بالجوانب اللغوية، والدراسات الفقهية لآيات الأحكام، إلا أن علوماً جديدة برزت تحتاج إلى تأهيل قواعدها على ضوء القرآن الكريم مثل (الإعجاز العلمى)، فقد برز هذا العلم وكثرت الكتابات فيه إلا أنه يحتاج إلى ضبطه بقواعد علمية مستمدة من هدايات القرآن الكريم لتجنب الإفراط والتفريط فى إدخال الآيات مجال البحث والمتعلقة بالعلوم التجريبية من علوم الفلك والطبيعة والإنسان .

□ وكذلك علم (أصول التربية القرآنية) فبعد بروز المدارس الاجتماعية ومدارس علم النفس فى الغرب، وغزوها للأمم والشعوب، ومحاولة إقامة صرح التعليم والتربية حسب مناهجها، رأى المفكرون المسلمون أن من الضرورة بمكان استخلاص مبادئ هذا العلم من هدايات القرآن الكريم ولازالت الكتابات فى هذا الجانب قليلة جداً، إذ تحتاج مثل هذه العلوم إلى علماء راسخين فى علوم الشريعة، إلى جانب استيعابهم لثقافة العصر ومناهج المدارس الحديثة في الغرب والشرق، إلى جانب ملكة قوية فى الإبداع والاستنباط، ليقوم هذا العلم على أسس راسخة. ومثل هذا (أصول علم الاقتصاد الإسلامى) و(أصول الإعلام الإسلامى) [١].

□ والمتتبع لواقع مثل هذه العلوم يجد أن كثيراً منها - وهى تلعب دوراً هاماً فى حياتنا المعاصرة - لازالت معالمها «غير واضحة الصلة بهدايات القرآن، ولايمكن أن نجد نصوصاً محددة من القرآن الكريم أو السنة تناولتها،

---

(١) مباحث فى التفسير الموضوعى، د. مصطفى مسلم ص٣٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإنما نستشف أصولها من خلال روح النصوص الكريمة وهدايات القرآن الكريم والسوابق القضائية والفقهية لسلف هذه الأمة. ولاوسيلة لوضع أسس هذه العلوم وبيان ضوابطها إلا من خلال التعامل مع الآيات الكريمة وفق منهج التفسير الموضوعى»»[١].

٥ - معالجة الإشكالات حول نظم القرآن من مثل إيهام التعارض وادعاء التكرار من غير فائدة:

عند دراسة القرآن دراسة موضوعية - كما مر في النقطة السابقة - يكون الباحث بمعزل عن الوقوع فى آفة التكرار من غير فائدة والتعارض أحياناً بين مايقال في موضوع ومايقال في آخر والسكوت عن معالجة إشكالات في نظم القرآن لاتظهر إلا عند هذه الدراسة الموضوعية وبمعالجة هذه الإشكالات تتبين روعة القرآن فى بلاغته وإعجازه وتلجم أفواه ثرثارة لهجت بالاعتراض على القرآن بما تكرر فيه معنى أصلى واحد بعبارات تختلف في الألفاظ والصياغة»[٢].

❐ وفى هذا الإتجاه يقول الكرمانى فى كتابه المسمى: أسرار التكرار في القرآن: «هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التى تكررت فى القرآن وألفاظها متفقة، لكن وقع فى بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب إختلافاً بين الآيتين أو الآيات التى تكررت من غير زيادة ولانقصان، وأبين ماالسبب فى تكرارها، والفائدة فى إعادتها، وماالموجب للزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير والإبدال، وماالحكمة فى تخصيص الآية بذلك دون الأخرى، وهل كان يصلح مافى هذه السورة مكان مافى السورة التى تشاكلها أم لا؟ ليجرى ذلك مجرى علامات تزيل إشكالها وتمتاز بها عن أشكالها»[٣].

---

(١) المصدر السابق: ص٣٢ .

(٢) آدم عليه السلام كما تحدث القرآن: د. عبد الغنى الراجحى ص٢٣ .

(٣) أسرار التكرار فى القرآن: محمود بن حمزة الكرمانى، ص: ١٧، ١٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث السادس
الرد على مايثار حول «التفسير الموضوعى»

يجد الباحث فى «التفسير الموضوعى» فى طريقه بعض الشبهات التى يثيرها البعض جهلاً منهم بسبب عدم التعود بعد على هذا المصطلح الجديد، وقبل أن نورد بعضاً من هذه الشبهات لابد من توطئة نقدمها حول حكم التفسير الموضوعى ومكانته :

أولاً: حكم «التفسير الموضوعى»:

يعتبر «التفسير الموضوعى» بناء علي ماسبق ذكره في المباحث السابقة - قسماً من أقسام التفسير، ولوناً من ألوانه، ونوعاً من أنواعه، لذا فإنه يأخذ حكم الأصل وهو التفسير، فقد حكى الحافظ السيوطى فى كتابه الإتقان الإجماع على أن تفسير القرآن من فروض الكفايات[١] أى إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وإلى نحو من ذلك يشير الإمام ابن كثير فى مقدمة تفسيره فيقول: «الواجب علي العلماء الكشف عن معانى كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً، فبئس مايشترون**﴾[٢] فذم الله أهل الكتاب بإعراضهم عن كتاب الله، وإقبالهم على الدنيا وجمعها .

☐ فعلينا أن ننتهى عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به، من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهيمه، قال تعالى: ﴿**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق**﴾[٣] الآية.

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن: الحافظ السيوطى ج١، ص٢٢٤.

(٢) آل عمران: ١٨٧.

(٣) الحديد: ٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

□ ففى ذكره تعالى لهذه الآية تنبيه على أنه تعالى كان يحيى الأرض بعد موتها كذلك يحيى القلوب بالإيمان، ويلينها بعد قسوتها من الذنوب والمعاصى، والله المؤمل أن يفعل بنا هذا، إنه جواد كريم. (١)

ثانياً: مكانة «التفسير الموضوعى» وشرفه :

يعتبر علم التفسير بشكل عام والموضوعى منه بشكل خاص من أشرف العلوم وأجلها، وإلى ذلك يشير قول المولى عز وجل: ﴿**يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً**﴾(٢)، وقد ورد عن الصحابى الجليل عبد الله بن عباس أنه قال في المراد من الحكمة فى هذه الآيةك «يعنى المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله»(٣)، وقال الراغب الأصفهانى: «أشرف صناعة يتعاطها الإنسان تفسير القرآن»(٤) ويبين الحافظ السيوطى مراد الأصفهانى فيقول: «صناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث. أما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذى هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم، لايخلق على كثرة الرد ولاتنقضى عجائبه، وأما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التى لاتفنى، وأما من

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير: الصابونى ج١ ص١١ .

(٢) البقرة: ٢٦٩ .

(٣) أخرج الطبرى فى تفسيره ج٥ ص٧٥٦ بسنده قال: حدثنا المثنى، قال أبو صالح عبد الله بن صالح، قال حدثنى معاوية، قال حدثنى معاوية بن صالح، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس. الأثر، أورده السيوطى فى الدر المنثور ج١ ص٣٤٨، أورده أيضاً فى الإتقان ج١ ص٢٢٣ .

(٤) الإتقان فى علوم القرآن: الحافظ السيوطى ج١ ص٢٢٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جهة شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوى عاجلى أو آجلى مفتقر إلي العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهى متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى»[١].

□ الشبهة الأولي: أن الله عز وجل قد ذم فى كتابه العزيز الذين يقطعون القرآن ويجعلونه أقساماً عند قوله تعالى: ﴿**كما أنزلنا علي المقتسمين. الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون**﴾[٢].

□ الرد: المقصود في الآية بـ«المقتسمين» جاء بيانه فى الآية اللاحقة عند قوله ﴿**الذين جعلوا القرآن عضين**﴾ فهذه صفة المقتسمن، وقد جاء عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: «هم أهل الكتاب جزؤوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه»[٣]، ومعنى عضين: أى مفرق، والعضين فى لغة قريش السحر[٤]، ويقول القرطبى فى تفسيره «أكثروا البهت علي القرآن ونوعوا الكذب فيه، فقالوا: سحر وأساطير الأولين، وأنه مفترى، وإلى غير ذلك، ويقال: عضوه، أى: آمنوا بما أحبوا وكفروا بالباقى»[٥].

□ وعليه فإن تفسير الآية مغايراً تماماً للتفسير الموضوعى الذى هو تفسير القرآن بطريقة معينة وليس ترك الإيمان ببعضه كما جاء في تفسيرها .

□ الشبهة الثانية: أن «التفسير الموضوعى» قسم حادث لم يعرفه السابقون، وأن الواجب يقتضى اتباع سلف الأمة والقرون الأولى، والالتزام بما ساروا عليه، وعدم الابتداع في دين الله عز وجل .

---

(١) المصدر السابق، ج٨ ص٢٢٤ .

(٢) فتح القدير: الشوكانى، ج٣، ص١٧٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن: القرطبى ج١٠ ص٥٩ .

(٤) المصدر السابق، ج١٠ ص٥٩ .

(٥) المصدر السابق: ج١٠ ص٥٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

□ الرد: لقد سبق فى المبحث الخاص (بنشأة التفسير الموضوعى وتطوره) الإشارة إلي أن هذا اللون من التفسير كان معروفاً ومتداولاً منذ العصر الأول، لكنه لم يشتهر بهذا الاسم (الاصطلاحى)، وعليه فإن الاسم جديد ولكن المسمى قديم، وحقيقته قديمة ومعروفة عند الأوليين ولكن تحت أسماء وأنواع أخرى .

□ الشبهة الثالثة: أن «التفسير الموضوعى» فيه طعن بترتيب آيات القرآن، وإخلاله بنظامه المعجز، المتواتر، المتعبد بتلاوته على هذا النمط الذى عليه المصحف .

□ الجواب: أن «التفسير الموضوعى» ليس معناه - إطلاقاً الطعن بترتيب آيات القرآنى فى سوره وإنما هو «ضرورة تعليمية لخدمة القرآن نفسه وتسهيل دراسته. إذ القرآن لم ينزل موضوعياً، لأنه ليس كتاباً مؤلفاً من صنع البشر، لكنه كان غيثاً يهطل على ظروف ومناسبات وأوضاع متلاحقة، اقتضت أن يكون بعض إعجازه هذا الترتيب الذى رتبت عليه الآيات فى السور بتوقيف من الذى أنزله، ولقد نزلت آياته فى مدى ثلاث وعشرين سنة وبرغم هذا المدى المتطاول وبرغم ترتيبها تلاوة غير ترتيبها نزولاً لم يفتها شئ من التناسب والتناسق والإحكام والتشابه كأنما نزلت وجبة واحدة، وأبلغ بليغ لو كتب فصولاً متناثرة في أوقات متباعدة ثم ضم بعضها إلي بعض لفاتها كثير من الوحدة والتناسب ولهجمت عليها أعراض النفرة والتفكك»[١].

□ ولذلك فإننا حين «نقرأ الآية من القرآن فى موضع فتذكرنا بنظيرة لها فى موضع آخر ثم تذكرنا الثانية بثالثة وهكذا تتداعى الآيات على نفسها مشكلة فى موضع واحد موضوعاً واحداً وقضية متكاملة كونت الآيات التى كانت متفرقة كل عناصرها فيأخذ المفسر فى بيان معانيها فى يسر وسهولة، وهذا هو مايسمى بالتفسير الموضوعى»[٢].

---

(١) آدم عليه السلام كما تحدث القرآن. د. عبد الغنى الراجحى، ص٢٤ .

(٢) المصدر السابق: ص٢٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث السابع
خطوات البحث في «التفسير الموضوعى»

تسهيلاً على الباحثين فى «التفسير الموضوعى» فإننا نضع بين أيديهم الخطوات التى ينبغى أن يسير عليها من أراد التصدى لعمل بحث فى «التفسير الموضوعى» فإنه لايتبادر إلى الذهن إلا هذا النوع وحده :

خطوات البحث:

يجب على المفسر أن يسير - قدر المستطاع - وفق الخطوات الآتية :

١ - تحديد الموضوع المراد بحثه في القرآن تحديداً دقيقاً من ناحية المعنى.(١)

٢ - اختيار عنوان الموضوع القرآنى مجال البحث بحيث يكون مستقى من ألفاظ القرآن ذاته، أو أن يكون منتقى من بين معانيه القرآنية.(٢)

٣ - جمع الآيات القرآنية التى تتعلق بهذا الموضوع(٣)، من جميع جوانبه اللفظية، والمقاربة، والمقابلة، ومافي معناها(٤).

---

(١) وذلك للتحقق أولاً من تعرض القرآن له، ثم من حيث المعنى بحيث لاتختلط القضايا مع بعضها، فإذا أراد مثلاً - أن يتعرض لموضوع (الجبال فى القرآن) فعليه أن يحدد المقصود من (الجبال) حتى لايدخل معها الآيات التى تتحدث عن الجبلة مثل قوله تعالى ﴿ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً﴾ يس: ٦٢ .

(٢) من غير المستحب العدول عن الألفاظ القرآنية إلى سواها من المصطلحات الحديثة إذا كانت تلك الألفاظ القرآنية تفى بالغرض، (ذلك كمن يترك لفظ «الشورى» القرآنى) إلى مصطلح يراه هذا الباحث مرادفاً له أو مقاربه، مثل: (الديمقراطية فى القرآن).

(٣) له أن يستعين على ذلك بحفظه وبالمصحف، وبكتب الأشباه والنظائر التى سبق التطرق لها، وبالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وبكتاب تفصيل آيات القرآن الكريم، وبكتاب الفهرس الموضوعى لآيات القرآن الكريم .

(٤) فإذا اختار موضوعاً عنوانه - مثلاً- الجهاد فى القرآن، فعليه أن يجمع الآيات المتعلقة بالجهاد، فيجمع ابتداء الآيات التى فيها «لفظ» الجهاد، من مثل: جاهد - جاهدوا - جهاد - مجاهدون ...

===

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤ - تصنيف هذه الآيات حسب النزول - ما أكن - الآيات المكية أولاً ثم الآيات المدنية، ومانزل أول العهدين قبل مانزل آخرهما [١].

٥ - فهم الآيات القرآنية بالرجوع إلي تفسيرها من كتب التفسير التحليلي، [٢] والتعرف على أسباب نزولها، وتدرج التشريع، والنسخ، وإلى دلالة الألفاظ واستعمالاتها .

٦ - تقسيم الموضوع إلى عناصر أساسية مترابطة، منتزعة من الآيات ذاتها - وذلك الإحاطة بمعانى الآيات - حتى تشكل هذه العناصر فى مجموعها موضوعاً مترابطاً وفق إرشادات القرآن وهداياته .

٧ - بعد استخراج عناصر الموضوع - من خلال الآيات القرآنية - تضم إلى هذه العناصر كل مايلائمها من الآيات المتعلقة بكل عنصر على حدة .

=== والألفاظ «المقاربة» لمعنى الجهاد، من مثل: القتال - الحرب - الإثخان - اللقاء - الفتح = الصف ...

والألفاظ «المقابلة» لمعنى الجهاد، من مثل: السلام، الفشل - النبذ - التولي - الفرار ... ومن المصنفات التى تفيد فى البحث عن ذلك :

١ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، لمحمد فؤاد عبد الباقى .

٢ - مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانى .

٣ - معجم ألفاظ القرآن الكريم، (مجمع اللغة العربية) .

(١) هذا الأمر ليس لازماً لكل موضوع، لكنه يتأكد عند الموضوعات المتعلقة بالأحكام الشرعية لذا فإن المفسر إذا علم أن قوله تعالى: ﴿لاتأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة﴾ آل عمران: ١٣٠ نزل قبل آيات البقرة التى تحرم قليل الربا وكثيره: « ٢٧٥-٢٨٠ » علم أن ذلك تدرج في التشريع انتهى بالتحريم الكلى، وهذا هو الحكم الصحيح. ولو لم يعلم الترتيب فربما أخطأ فى الحكم الشرعى حين يجعل آية الأضعاف مقيدة لآيات الإطلاق فى البقرة، فيكون المحرم هو الأضعاف المضاعفة فقط، وهذا باطل» (المدخل إلي التفسير الموضوعى: د. عبد الستار فضل الله سعيد، ص٦٣) .

(٢) مثل: تفسير الطبرى، وتفسير ابن كثير، وتفسير البغوى، وتفسير الشوكانى، والألوسى وغيرها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٨ - بعد كل ذلك يبدأ المفسر بالشروع فى شرح هذه العناصر، واستيفائها على طريقة التفسير الإجمالى مستعيناً بما يخدم كل عنصر من الآيات التى تتبع ذلك العنصر[١]، وعليه أن يقتصر على موضع الدلالة من الآيات القرآنية المتعلق بالموضوع المقصود تفسيره، وعليه أن يستدل فى إطار كل عنصر ماورد فى السنة الصحيحة أو من أقوال الصحابة - رضوان الله عليهم - بما يتعلق بهذه الآيات، أو العنصر نفسه .

٩ - القيام بإخراج الموضوع فى صورة متكاملة، وأن يراعى فى ذلك شروط البحث العلمى.[٢]

ملاحظات هامة :

١ - يجب على الباحث فى التفسير الموضوعى الالتزام بالعناصر التى استخرجها من الآيات ذاتها - كماسبق الإشارة إلى ذلك - ولايصح أن يتحدث عن عنصر مستخرج من مصدر سوى القرآن، حتى لو كان من السنة النبوية، أو من آثار الصحابة، أو من أقوال العلماء .

---

(١) إذا كان فى الموضوع وفرة كبيرة من الآيات الكريم فعليه أن يقتصر على جوامعها، أو الاستشهاد ببعضها بما يفى بغرض هذا العنصر موضع البحث .

(٢) كأن يضع الباحث مقدمة أو تمهيداً تبين أهمية هذا الموضوع ومنهجه في تناوله، ثم يقسم الموضوع إلى أبواب رئيسة، ويضع تحت كل باب فصولاً، وتحت كل فصل المباحث المتعلقة به، ولامانع من أن تكون العناصر المستخرجة من الآيات هى الأبواب نفسها أو حتى الفصول - إذا كان فى الموضوع عناصر كثيرة-، ثم إذا أمكن أن يضع الباحث خلاصة الموضوع، والنتائج المستنبطة منه، ويلحق به فهارس للايات والأحاديث والآثار والأعلام والموضوعات وقائمة بالمراجع، كل ذلك بأسلوب علمى رصين موثق بالأدلة والشواهد .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن وظيفة السنة في التفسير الموضوعى هى البيان التوضيحى، وكذلك أقوال الصحابة والتابعين والعلماء من بعدهم، وكل ذلك من أجل المحافظة على قرآنية الموضوع .

٢ - ويجب على الباحث التقيد الكامل بالمأثور الصحيح من كلام المصطفى - ﷺ- أو الصحابة والتابعين عند الاستدلال والاستشهاد بهم فى التفسير.

٣ - وعلي الباحث تجنب الحشو التكرار والاستطراد الممل، أو الدخول فى مناقشات وردود، وعند الحاجة إلى بيان معنى كلمة غريبة وردت في أثناء العرض، أو توجيه قراءة معينة، أو إبراز نكتة بلاغية، عليه أن يجعلها فى الهامش كى لايختل تسلسل العناصر وترابط الأفكار وسلاسة الأسلوب .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهرس المراجع

١- القرآن الكريم .

٢ - الإتقان فى علوم القرآن - جلال الدين السيوطى - مكتبة مصطفى الحلبى - القاهرة ط (٣) ١٣٧٠ .

٣ - أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات في سورة الأعراف - عبد الحميد طهماز دار القلم - دمشق، ط (١) ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٤ - أسرار التكرار في القرآن - الكرمانى - تحقيق عبد القادر عطا - دار الاعتصام - القاهرة .

٥ - آدم عليه السلام كما تحدث القرآن - د. عبد الغنى الراجحى - دار مكة - القاهرة .

٦ - بحوث فى أصول التفسير ومناهجه - د. فهد الرومى، مكتبة التوبة الرياض ط (١) ١٤١٣هـ .

٧ - الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية - بيروت .

٨ - البرهان فى علوم القرآن - بدر الدين الزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث- القاهرة، ط (٣) ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م .

٩ - تفسير البغوى (معالم التنزيل)، تحقيق محمد عبد الله النمر، دار طيبة - الرياض ط (٢) ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م.

١٠- تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن). بيروت .

١١- التفسير الموضوعى للقرآن الكريم - د. محمد أحمد القاسم - القاهرة، ط (١) ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٢- التفسير ومناهج المفسرين - د. وليد مساعد الطبطبائى، دار التجديد - الكويت ط (١) ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م .

١٣- تفسير الحسن البصرى، جمع د. محمد عبد الرحيم، دار الحديث القاهرة ط (١) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٤- تيسير اللطيف المنان فى خلاصة تفسير القرآن: عبد الرحمن بن سعدى، دار طيبة - الرياض، ط(٣) (١٤١٤هـ) .

١٥- تفسير الكشاف: الزمخشرى - بيرت .

١٦- دراسات فى التفسير الموضوعى للقرآن الكريم - د. زاهر الألمعى، الرياض - ط (١) ١٤٠٥هـ .

١٧- الجامع الصحيح (صحيح البخارى)، المكتبة الإسلامية، استانبول .

١٨- الجامع الصحيح (صحيح مسلم) شرح النووى، دار الفكر - بيروت .

١٩- الحروف العاملة فى القرآن لكريم - هادى الهلالي، عالم الكتب، بيروت ط (١) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٢٠- الصبر في القرآن الكريم - د. يوسف القرضاوى، مؤسسة الرسالة - ط (٩) ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٢١- غريب الحديث - القاسم بن سلام - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد ط (١) ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

٢٢- الفهرس الموضوعى لآيات القرآن - محمد مصطفى محمد، دار الجيل - بيروت - ط (٤) ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م .

٢٣- القراءات العشر المتواترة في هامش القرآن الكريم - محمد كريم راجح - دار المهاجر - المدينة المنورة ط (٢) ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٢٤- الكليات - أبو البقاء الكفوى - تحقق د. عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٢٥- لسان العرب: لابن منظور، دار صادر - بيروت .

٢٦- مباحث في التفسير الموضوعى - د. مصطفى مسلم، دار القلم - دمشق، ط (١) ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

٢٧- المدخل إلى التفسير الموضوعى - د. عبد الستار فتح الله سعيد، دار الطباعة والنشر الإسلامية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٨- مختصر تفسير ابن كثير - محمد على الصابونى، دار القرآن الكريم - بيروت ط (١) ١٣٩٦هـ .

٢٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن - محمد فؤاد عبد الباقى .

٣٠- المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية، القاهرة .

٣١- مفردات ألفاظ القرآن - الراغب الأصفهانى، تحقيق صفوان عدنان داوودى، دار القلم - دمشق ط (١) ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٣٢- نحو القرآن - د. محمد البهى الخولى - القاهرة .

٣٣- نزهة الأعين النواظر - عبد الرحمن بن الجوزى، تحقيق محمد الراضى، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط (٣) ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner